التفسير

الدرس الثاني

الشيخ/ ....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، مشاهدي الكرام هذا هو المجلس الثاني من مجالس شرح كتاب أصول التفسير لشيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين عليه رحمة الله.

وفي الدرس الماضي بينا بعض المسائل المهمة التي تتعلق بهذا العلم، وهو علم علوم القرآن، وأصول التفسير، وبعض الكتب المؤلفة فيه، وبينا كل ألف الشيخ هذا الكتاب، -كما ذكرنا- نبذة ميسرة عن حياة شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

واليوم نأتي إلى مباحث جديدة من هذا العلم القيم العظيم، الذي يحتاجه المسلم الذي يرغب أن يكون متفهما ومتعلما لكتاب ربي سبحانه وتعالى.

نبدأ قراءة المتن ومع الفقرة الأولى، أو الفقرة الثانية لأننا عرفنا معنى القرآن في اللغة، والآن نريد أن نعرف معناه في الشرع، ونسمع كلام شيخنا رحمه الله.

{الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، أما بعد، فاللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين والمشاهدين ووالدينا ووالديهم وجميع المسلمين.

قال ابن عثيمين رحمنا الله وإياه:

والقرآن في الشرع: كلام الله تعالى المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٣] وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. وقد حمى الله تعالى هذا القرآن العظيم من التغيير والزيادة والنقص والتبديل، حيث تكفل عز وجل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ولذلك مضت القرون الكثيرة ولم يحاول أحد من أعدائه أن يغير فيه، أو يزيد، أو ينقص، أو يبدل، إلا هتك الله تعالى ستره، وفضح أمره.}

بعد أن عرف الشيخ رحمه الله القرآن في اللغة، وبين أنه مأخوذ من قرأ بمعنى تلا، وذكرنا خلاف العلماء في اشتقاق كلمة القرآن وأن الصحيح أنه مشتق وأن اشتقاقه من كلمة قرأ بمعنى تلا.

بين الشيخ معنى القرآن في الشرع، ما المراد به؟

طبعا لا يختلف الناس بأن المراد به هذا الكتاب الذي بين أيدينا، لكن ما هي العبارة التي يمكن أن يعبر بها عن هذا الكتاب حتى لا تلتبس بشيء آخر غيره.

فعرفه الشيخ رحمه الله بقوله: كلام الله تعالى المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، صلوا على النبي يا إخواني..

المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، هذا التعريف جامع مانع، جامع ما يحتويه هذا المعرف، مانع لدخول غيره فيه، فإن الشيخ رحمه الله اختار هذا التعريف، الذي لا يمكن أن يلتبس لا بالكتب الماضية، ولا بما أنزله الله على محمد مما هو وحي ولكنه ليس قرآنًا، فقال كلام الله، والقرآن كلام الله، وهذا اعتقاد السلف قاطبة، قد أجمعوا عليه.

قال: المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه، بين الشيخ، لماذا لم يقل خاتم رسله، لأن إذا قال خاتم الرسل، لا يلزم أن يكون خاتم الأنبياء، لأن النبي مرتبته أقل من مرتبة الرسول، والرسل معدودون، بخلاف الأنبياء فهم كثر جدا، ولذلك قال الله في القرآن: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قال: محمد صلى الله عليه وسلم ونص عليه بالاسم حتى لا يلتبس بأحد سوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم دقق في هذا الكتاب حتى لا يمكن أن يدخل غيره معه، فقال: المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.

وبعضهم يعرفه بقوله: كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من دون هذه الأوصاف التي ذكرت، لأنه إذا قيل محمد انتهى ما سواها، المتعبد بتلاوته، فقولهم المتعبد بتلاوته يخرج الحديث النبوي، ويخرج الحديث القدسي.

وقوله الشيخ هنا: المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، أيضًا يخرج الحديث النبوي ويخرج الحديث القدسي.

أما الفرق بين القرآن وبين الحديث النبوي فهو ظاهر.

فالقرآن كلام الله لفظا ومعنى، وأما الحديث فهو بالإجماع، معناه من عند الله عز وجل، ولفظه من عند النبي صلى الله عليه وسلم.

أما الحديث القدسي، فهو الذي حصل فيه إشكال، هل لفظه ومعناه من عند الله؟ مع إجماعهم على أن المعنى من عند الله، أو أن معناه من عند الله، ولفظه من عند النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى أي كان، فالحاصل أن الحديث القدسي يختلف عن القرآن في عدة أشياء:

أولا: القرآن وقع به التحدي، والحديث القدسي لم يقع به التحدي.

الثاني: أن القرآن نقل إلينا جميعًا بالتواتر، بخلاف الحديث القدسي، فمنه ما هو متواتر، ومنه ما هو آحاد، وهذا الآحاد منه ما صحيح، ومنه ما هو حسن، ومنه ما هو ضعيف، ومنه ما هو موضوع، وهذا معروف في الكتب التي جمعت الأحاديث القدسية.

أيضًا القرآن قلنا إنه من عند الله لفظا ومعنى قطعا، بخلاف الحديث القدسي فقد أختلف فيه، هل لفظه من عند الله أو من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا مانع أن يكون لفظه من عند الله، لكن الله عز وجل لم يجعل له المترتبة التي جعلها للقرآن الكريم.

أيضًا من الفروق التي بين الحديث القدسي والقرآن، أن القرآن لا يمسه إلا المطهرون، فهذا المصحف الذي بأيدينا لا يجوز أن يمسه الجنب ولا أن تمسه الحائض، ولا يجوز أن يمسه من به حديث أصغر، من كان به حدث أصغر، على القول الصحيح الذي عليه جماهير أهل العلم سلفا وخلفا، لا يمس المصحف.

وهناك من العلماء من أجاز لمن أحدث حدثا أصغر أن يمس المصحف، وهذا القول قال به جمع أهل العلم، لكن المشهور والأشهر والذي عليه الأدلة هو أنه لا يمس المصحف إلا من كان طاهرا من الحدثين الأصغر والأكبر.

أما الحديث القدسي فيجوز المحدث وللمتطهر أن يلمس الكتاب الذي فيه الأحاديث القدسية.

أيضًا القرآن تحرم روايته بالمعنى، وأما الحديث القدسي فإن روايته بالمعنى جائزة، كالحديث النبوي، شرط أن يكون الذي يرويه بالمعنى فاهما لمراد النبي صلى الله عليه وسلم أو مراد الله تعالى.

أيضًا قلنا المتعبد بتلاوته، تعني هذه الكلمة في القرآن الكريم أنه يقرأ في الصلاة، وأن هناك أجرا على قراءة الحرف منه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا أقول الم حرف، ولكن ألف ولام حرف وميم حرف».

فالقرآن يتميز بأن الإنسان يتعبد بتلاوته في الصلاة، أما الحديث القدسي فلا يحل أن يكون محلا للتلاوة.

كما أن القرآن أيضًا يتميز بشيء آخر، لا يوجد لا في الحديث النبوي ولا يوجد في الحديث القدسي، وهو أن القرآن تسمى الجملة منه آية، والعدد من الآيات تسمى سورة، وله تقسيمات خاصة به، لا تعرف لا للحديث النبوي ولا للحديث القدسي.

إذن خلصنا من هذا كله، بأن القرآن الكريم يعرف بتعريفات كثيرة، ذكرها أهل العلم، منها ما ذكره الشيخ رحمه الله، وهو

كلام الله تعالى المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.

ثم قال الشيخ: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٣] وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

ثم ذكر الشيخ أن الله عز وجل ميز هذا القرآن بأن حماه من التغيير والزيادة والنقص والتبديل، طبعا الزيادة واضحة، والنقص واضح، يبقى عندنا التبديل وهو أن يوضع شيء مكان شيء، يعني أن توضع كلمة مكان كلمة، أو جملة مكان جملة، وأما التغيير فهو أن يغير سواء في ألفاظه أو في معانيه.

قال: حيث تكفل عز وجل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ولذلك مضت القرون الكثيرة ولم يحاول أحد من أعدائه أن يغير فيه، أو يزيد، أو ينقص، أو يبدل، إلا هتك الله تعالى ستره، وفضح أمره.

إذن كلام الشيخ في هذا يعني أن القرآن جرت محاولات للتغير فيه والزيادة والنقص، لكن الله سبحانه وتعالى بهؤلاء الذين

حاولوا بالمرصاد، ما فعلوا فعلة يريدون بها تغيير كتاب الله، إلا هتك الله أستارهم، ونقض بنيانهم.

وهذا حصل في محاولة مثلا جرت في ألمانيا قبل قرابة نصف قرن أو أكثر بقليل، وطبعت نسخة من المصحف فيها تغيرات يسيرة، يُراد أن تُصدر إلى العالم الإسلامي، فتسامع المسلمون بهذه النسخة ووصلهم خبرها، فتنادوا لمؤتمر في مصر، يتشاورون فيه كيف يدفعون هذا الشر عن كتاب الله عز وجل، وكان اجتماعا حافلا اجتمع فيه علماء العالم الإسلامي والقراء، وخرجوا بنتائج كانت عظيمة وجليلة، ومن أهمها: أن يسجل القرآن صوتيا، وهذا لم يجر للقرآن قبل ذلك المؤتمر قط.

وأضيف إلى حفظ القرآن بالرواية، وحفظه بالكتابة، الحفظ بالصوت، وهذا أسلوب جديد في حفظ القرآن، لم يكن للمسلمين به عهد، وقد استفادوا فيه من التقنية الجديدة في حفظ الأصوات عبر أشرطة ؟؟؟ هذه الكبيرة التي سجلت بها أصوات المقرئين، وكان من أوائل من سجل القرآن الشيخ الحصري، ونحوه من المشايخ الكبار في مصر.

إذن لم يجروا أي وسيلة للتغيير في القرآن إلا أحدث الله بقدره وفضله ما يكون سياجا يحيط بهذا الكتاب لا يستطيع أحد أن يتناوله بالتحريف والنقص والزيادة والتغيير.

{إذا طرقنا باب الترجمة التفسيرية للقرآن الكريم، هل حدث هناك أن ضبطت بعض المترجمات التي حاولت التصحيف والتحريف؟}

سنتحدث عن ترجمة القرآن في باب مستقل سيأتينا في آخر الكتاب، فأتمنى أن هذا السؤال نسمعه هناك حتى نجمع كل الأسئلة التي تتحدث عن ترجمة القرآن عندما يتحدث الشيخ رحمه الله عن هذا الموضوع بإذن الله عز وجل.

{قال رحمه الله:

وقد وصفه الله تعالى بأوصاف كثيرة ، تدل على عظمته وبركته وتأثيره وشموله ، وأنه حاكم على ما قبله من الكتب .

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]. ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] . وقال تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ

فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] وقال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، وقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وقال: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨].{

بعد أن ذكر الشيخ تعريف القرآن العظيم، بين أوصاف هذا القرآن الكريم، والشيخ رحمه الله دقيق في عباراته، فلم يقل إنها أسماء، لأن إطلاق كلمة اسم على ما ورد في الآيات من أوصاف القرآن، يحتاج إلى تحرير ونظر، والعلماء رحمهم الله عنوا بهذا المعنى، وهي هذه الأوصاف التي أطلقت على القرآن في القرآن وفي السنة، فجمعوها رحمهم الله في فصول من كتب علوم القرآن في أسماء القرآن وأوصافه، ذكر ذلك الزركشي في البرهان، ذكره أيضًا السيوطي في الإتقان، وأيضًا أفردوه بالتأليف، فممن أفرده بالتأليف علي بن أحمد الحرانلي، المتوفى عام ستمائة وسبع وأربعين، وممن أفرده بالتصنيف أيضًا ابن القيم رحمه الله عز وجل المتوفى عام سبعمائة وواحد وخمسين.

ولشيخ مشايخنا الشيخ صالح البليهي كتاب كبير في حجمه، اسمه الهدى والبيان في أسماء القرآن، جمع فيه ستة وأربعين اسما للقرآن، وأما باقي ما ذُكر فإنه جعله أوصافا للقرآن.

فالزركشي رحمه الله جعلها خمسة وخمسين اسما، الحرانلي جعلها قريب من مائة اسم، أيضًا الفيروزآبادي قال إن أسماء

القرآن تبلغ مائتا اسم، وعد منها قريب من ثلاثة وتسعين اسما في كتابه المشهور: بصائر ذوي التمييز.

والحاصل أن كثير من الأسماء التي جمعت للقرآن هي في حقيقتها أوصاف، ولذلك الشيخ احتاط فقال: وقد وصف الله تعالى القرآن بأوصاف كثيرة، لأنه يختلف هل هي أسماء أو أوصاف للقرآن الكريم.

لكن أشهر أسماء القرآن كما ذكرنا المرة الماضية القرآن والكتاب، فأما القرآن فقد جاء في آيات كثيرة، كذلك الكتاب، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وإنما اشتهر هذان الاسمان لبيان أن القرآن قد حفظ بوسيلتين:

الوسيلة الأولى: وسيلة التلاوة والتلقي والمشافهة.

الوسيلة الثانية: وسيلة الكتابة التي يعرف بها ما هو من القرآن مما ليس من القرآن.

فكل زيادة ليست موجودة في الرسم الذي بين أيدينا فليست من القرآن، وتعد إن ثبتت بإسناد صحيح أو لم تثبت بإسناد صحيح قراءة شاذة.

ما هي هذه الأوصاف التي ذكرها الشيخ، طبعا نمر عليها مرورا سريعا.

أولا القرآن العظيم، ودليله قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

السبع من المثاني هي سورة الفاتحة، لأنها تثنى في كل ركعة من ركعات الصلاة أي تكرر.

والثاني من الأوصاف: ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

والثالث من الأوصاف: المبارك ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [ص: ٢٩]، أي كثير الخير، واسع المدد والبركة.

قال الله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾، وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وأيضًا: ذكر ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، أيضًا هذا وصف من أوصاف القرآن لأنه كثير العطاء، فيه من المعاني والهدايات والفهوم شيء كثير، وفي كل مجالات الحياة، إن جئت إلى الصحة وإن جئت إلى معرفة بني آدم، وكيف نشأوا، وإن جئت إلى معرفة الجنة والوعد والوعيد، وإن جئت إلى صفات الرب سبحانه، وإن جئت إلى هداية الإنسان في تربيته

لنفسه، أو تزكيته لمن تحت يده، إلى آخره، إن جئت للقرآن في مجال السياسة، أو الاقتصاد، أو الاجتماع، أو أي شيء من هذه الأمور، ستجد أن القرآن فيه عطاء واسع، ومن هنا صار كريما.

أيضًا قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. فهو هداية، ولا يهدي للتي هي قيمة، بل أقوم شيء، لأقوم ما يكون في كل شيء.

ومما ذكره أيضًا: قول الله عز وجل من أوصافه: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَـذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا﴾ [الحشر: ٢١]، وهذا لبيان شدة تأثيره، لو أنزل هذا القرآن على جبل لتصدع الجبل من خشية الله عز وجل.

ومما ذكره الشيخ: أنه يزيد الإيمان قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، كيف تزيدهم رجسا إلى رجسهم؟

تزيدهم رجسا إلى رجسهم، لأنه إذا نزل شيء فيها من الأخبار، فكذبوه، ازدادوا رجسا ونفاقا، وكفرا عياذا بالله، وإن نزل فيها شيء من الأحكام، الأوامر والنواهي، فخالفوه ازدادوا بذلك رجسا إلى رجسهم.

ومما ذكره الشيخ أيضًا من أوصاف القرآن: قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فهو نذارة للعالمين.

وأيضًا قول الله عز وجل: ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٢] ، فالجهاد الكبير يكون بالقرآن، لأن القرآن هو روح الشريعة، وهو مركز الدائرة في هذه الملة.

فتبليغه هو الجهاد الحق، هو الجهاد الأعظم في الإسلام، وهذه الآية نزلت في مكة، وسمى الله جهاد القرآن، أو جهاد تبليغ القرآن الجهاد الكبير.

وقال الله جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، يعني ما من شيء تحتاجون إليه في حياتكم تتحقق به سعادتكم، ويتحقق به سلامتكم واستقامتكم إلا وهو موجود بين يديكم في هذا الكتاب العظيم.

ثم ذكر من أوصافه في نفس الآية: ﴿وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾، فجمع فيه بين الهداية والرحمة والبشرى.

وختم بقول الله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فهذا الكتاب مصدق لما جاء في الكتب التي نزلت على الأنبياء قبله، وأيضًا مهيمن بمعنى له الحكم عليها، فما ورد فيه هو المقبول، فإن خالفته شيء من هذه الكتب، فإن المحتكم إليه هو ما في هذا الكتاب، قال: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨].

{قال رحمه الله:

والقرآن الكريم مصدر الشريعة الإسلامية التي بعث بها محمد صلي الله عليه وسلم إلى كافة الناس، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان: ١]، وقال: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١، ٢].

وسنة النبي صلي الله عليه وسلم مصدر تشريع أيضاً كما قرره القرآن ، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ [النساء: ٨٠] وقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].}

بعد أن ذكر الشيخ أوصاف القرآن، بين أن هذا القرآن هو مصدر الشريعة التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس، وذكر الأدلة على ذلك وهذا محل خلاف بين المسلمين ولله الحمد والمنة، لا أهل السنة ولا المبتدعة، فكلهم يجتمعون على كتاب الله جل وعلا.

لكنهم يختلفون فيما ذكره الشيخ بعد ذلك من أن السنة هل هي مصدر تشريع أو لا؟ ولذلك تجد أكثر طوائف البدع والطوائف المنحرفة، لها تفاسير مستقلة بالقرآن الكريم، يفسرون القرآن بأن ألفاظ القرآن واسعة، تحتمل معاني كثيرة، حمالة

أوجه، ولذلك تميز أهل السنة باسم أهل السنة لأنهم يعتبرون السنة مصدرا للتشريع بدلالة القرآن وبدلالة السنة.

والسنة تحدد وتبين وتشرح وتوضح ما أجمل أو أطلق أو عمم في كتاب الله عز وجل.

فلماذا لا يقال لأهل السنة: أهل القرآن والسنة؟

لأن كلمة أهل القرآن كل الطوائف فيها، الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج والقدرية والمرجئة، كل هؤلاء يحتجون بالقرآن، لا خلاف بينهم فيه، لكن أهل السنة يتميزون بأنهم استمسكوا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم كموضح وشارح ومبين ومصدر للتشريع لا يمكن أن يتنازل عنه.

ولذلك الشيخ رحمه الله تنبه لهذه القضية لئلا يتخذ كلامه حجة لأولئك القوم الذين يجعلون القرآن مصدر وحيدا للتشريع، وهناك طائفة الآن في الأمة يسمون القرآنيين، يقولون الحجة بالقرآن، وأما غيره فلا حجة له، يعني السنة لا نحتج بها، لماذا لا تحتجون بها؟ لأنهم يرون أنها رويت من طرق آحاد، وفيها الصحيح وفيها الضعيف وحجج من هذا القبيل، فيقولون الحجة فيما تواتر، وأما ما سوى ذلك فهو مسقط، وهذه طريقة

للتخفف من الشريعة، ولللي أعناق النصوص على حسب ما يشتهون.

فالشيخ رحمه الله من ذكاءه وفطنته لهذه الدسيسة الخبيثة التي يعبر منها أهل البدع إلى تحريف دين الله عز وجل، يقول: وسنة النبي صلى الله عليه وسلم مصدر تشريع أيضًا كما قرره ماذا؟ القرآن، لسنا نأتي بهذا من عندنا، بل في القرآن ما يدل على أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم مصدر للتشريع، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، كيف تطيع الرسول؟

لو كان المقصود فقط أن نأخذ ديننا من القرآن الكريم فقط، ما صار لطاعة الرسول أي معنى، لكن من يطع الرسول فيما يأمرنا به، فيما ينهانا عنه سواء كان ذلك مذكور في القرآن بنصه، أو كان ذلك مستقلا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم. وقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال جل من قائل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ولعلكم تعرفون قصة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه، عندما قال: «لعن

الله النامصة والمتنمصة والواشمة والمستوشمة» فقالت امرأة إني قرأت القرآن ما بين الدفتين، لم أجد فيه أن الله قد لعن هؤلاء التي ذكرت يا أبا عبد الرحمن، فقال: إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قالت: قرأته فلم أجده، فأين هو؟ فقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه: إن الله يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، فما نهى عنه رسول الله فقد نهى عنه الله، ثم قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لعن الله النامصة والمتنمصة والواشمة والمستوشمة» أو كما قال في الحديث.

وقال الله جل وعلا أيضًا مبينا هذه الحقيقة العظيمة والقاعدة الكبرى من قواعد الشريعة وهي أن السنة مصدر من مصادر التشريع لا يتنازل عنه المسلم، قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

بعد ما انتهينا من هذه المقدمة التي ذكرها الشيخ في معنى القرآن لغة، معنى القرآن اصطلاحا، وفي أوصاف القرآن المذكورة في كتاب الله عز وجل، وبيان أن القرآن مصدر للتشريع، هذه تعتبر بمثابة المبادئ لهذا العلم، واجتزأ الشيخ بشيء منها، لأن

الكتاب أصلا في الحقيقة قدم لطلاب الصف الثانوي، وأيضًا هو كتاب مختصر، لكن لو أردنا أن نسترسل في المقدمات المعروفة والمبادئ التي يذكرها العلماء في مقدمة كل علم، لكنا نقول: علوم القرآن لم يعرفها، أو أصول التفسير لم يعرفها الشيخ.

والذي يظهر أن الشيخ لم يعرفها لأنه يعني معلومة من العنوان، يعني الأصول التي يحتاجها من يريد تفسير القرآن الكريم، وعلوم القرآن أي العلوم التي تبين لك حقيقة هذا الكتاب، ومما يتكون، والمباحث التي ينبغي للإنسان أن يتعرف من خلالها على كتاب الله عز وجل.

ما هي أسماء هذا العلم؟

يقال: علوم القرآن، ويقال: أصول التفسير، لأن التفسير لا يتم إلا بمعرفة علوم القرآن، ويقال علوم القرآن لأنها علوم تبين لك حقيقة هذا الكتاب، كيف نزل، وكيف قُسم، وكيف جمع، وكيف رسم وكتب، إلى آخره.

أيضًا ما هو موضوع علوم القرآن؟ في أي شيء يتحدث علوم القرآن؟

موضوع علوم القرآن هو القرآن، مثل ما نقول موضوع علم الطب، هو بدن الإنسان، يعني الشيء الذي يبحث فيه الطب هو بدن الإنسان.

وعلم العروض، ما موضوعه؟

الشعر، يتحدث عن الشعر وأوزانه وكيفية ضبطه.

إذن موضوع علوم القرآن هو كتاب الله عز وجل، يتحدث عنه من حيث تاريخه، من حيث أنواعه، من حيث أقسامه، قصصه، إقسامه، إلى آخره.

ما فضل تعلم علوم القرآن، هل هناك فضل خاص بتعلم علوم القرآن؟ نقول: نعم، تعلم علوم القرآن جزء من تعلم القرآن، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

فإذا كنت لن أفهم القرآن الفهم الصحيح الموافق للحق إلا بتعلم علوم القرآن، صار تعلم علوم القرآن من تعلم القرآن وداخل في الفضيلة المذكورة في هذا الحديث الكريم العظيم، «خيركم» خير الأمة «من تعلم القرآن وعلمه».

وغير ذلك من الأحاديث التي ورد فيها فضل كتاب الله عز وجل على ما سواه.

ما هي الثمرة التي نجنيها من تعلم هذا العلم؟

أولا: تيسير تفسير القرآن، فنحن إذا تعلمنا علوم القرآن سهل علينا فهم تفسير القرآن، فهو يسهل على الإنسان فهم تفسير القرآن.

وأيضًا: من ثمرات هذا العلم الدفاع عن القرآن، ودرء الشبهات التي يطرحها أعداء الإسلام حول القرآن.

فإذا لم يكن عندك هذه المعلومات التي ذكرها العلماء حول القرآن، كيفية نزوله، كيف بدأ، وكيف رُتب، وكيف قُسم، فإنك قد تقع في حيرة من بعض الشبهات التي يطرحها هؤلاء الأعداء.

فعلوم القرآن تعتبر مركز للدفاع عن القرآن الكريم، ولا يستطيع أن يدافع عن القرآن إلا من كان بيده قوة أو حمل علوم القرآن بقوة.

أيضًا نستفيد من علوم القرآن القدرة على استخراج مكنونات القرآن وهداياته، فإن لا نستطيع الغوص على هدايات كتاب الله عز وجل حتى نتعلم علوم القرآن الكريم.

يعني مثلا وسيمر بنا بعد قليل، نجد أن فيه آية تحرم الجهاد، وفيه آية تبيح الجهاد، وفيه آية توجب الجهاد، أيها نصدق، هذه أو هذه أو هذه، فيه آية تحرم الخمر، وفيه آية تحدد ميقات للخمر أنه يكون في وقت دون وقت، وفيه آية تقول فيه منافع، وفيه آية تجعله شيئا مباحا، أيها نصدق؟

إذا لم يكن عندنا علم بعلوم القرآن، ومعرفة أن هذا القرآن نزل مفرقا وعلى مراحل، وفيه مكي وفيه مدني، وأن من أعاجيب هذا الكتاب الحكيم أنه نزل على مراحل لينقل الناس من مرحلة إلى مرحلة حتى وصل بهم إلى المرحلة النهائية التي مات النبي صلى الله عليه وسلم وقد ترك أمته عليها.

هذا لا نعرفه إلا من خلال علوم القرآن، ولذلك يأتي بعض الناس، يقول: الله عز وجل يقول: فيه منافع، ويقول عن الخمر مثلا ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: ٤٣]، وقت

الصلاة نجتنب السكر، لكن ما وراءها يجوز لنا ذلك، فنقول لو تعلمت علوم القرآن ما قلت هذا الكلام.

ويمكن يأتينا إنسان يقول الربا حلال، لأن الله يقول: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩] فقط.

أو يأتي إنسان ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، فالربا المحرم في الإسلام هو الربا المضاعف، وهو أن أقول لك إما أن تقضي وإما أن تربي، وأما الربا الموجود في أنواع أخرى مما ذكره العلماء فهذا لا حرمة فيه.

فنقول: لا، لو تعلمت علوم القرآن، وأصول التفسير التي ذكرها الشيخ رحمه الله لما قلت بهذا أبدا، ولا فهمت كيف أنزل الله هذه الآيات في كتابه.

أيضًا في علوم القرآن نتعرف على الجهد العظيم الضخم الذي بذله أئمة الإسلام لخدمة كتاب الله عز وجل، وفهمه، وصيانته، وحفظه من أن تناله يد التحريف.

فقد ألفوا في كل باب من أبواب علوم القرآن مؤلفات كثيرة، يعني الآن عندنا فهارس للكتب التي ألفت في علوم القرآن وحدها بالألوف، أحيانا في باب واحد تجد أكثر من مائة باب، كل كتاب فيه شيء لا تكاد تجده في الكتاب الآخر، مثلا في تفسير القرآن، وهو باب من أبواب علوم القرآن، إلى اليوم والتفاسير تصدر، تفسيرا إثر تفسير، وفي كل تفسير ما يميزه عن التفسير الآخر بحيث تقول لا يمكن أن نستغني بواحد عما سواه، إلا ما ندر، والنادر لا حكم له.

إذن هذه تتمة المقدمات والمبادئ التي نقولها في علوم القرآن الكريم.

ثم انتقل الشيخ بعد ذلك إلى الموضوع الثاني وهو نزول القرآن.

{قال رحمه الله:

نزول القرآن

نزل القرآن أول ما نزل على الرسول صلي الله عليه وسلم في ليلة القدر في رمضان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا

مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣، ٤].
وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وكان عمر النبي صلي الله عليه وسلم أول ما نزل عليه القرآن أربعين سنة على المشهور عند أهل العلم، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وسعيد بن المسيِّب وغيرهم. وهذه السِّن هي التي يكون بها بلوغ الرشد وكمال العقل وتمام الإدراك.}

يقول الشيخ رحمه الله: نزول القرآن هذا الموضوع يعتبر من أهم الموضوعات التي ينبغي دراستها في أول هذا العلم، وهو نزول القرآن، كيف جاء هذا القرآن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم مثلا في المنام؟ أو نزل كما نزلت التوراة على موسى ألواحا مكتوبة من عند الله عز وجل؟ أو أن الأمر مختلف؟

ولذلك بدأ الشيخ بهذا الموضوع المهم، وهو نزول القرآن، فقال الشيخ رحمه الله: نزل القرآن أول ما نزل على الرسول صلي الله عليه وسلم في ليلة القدر في رمضان، هذه العبارة من الشيخ

تدلنا على أن الشيخ رحمه الله يرى أن نزول القرآن كان أول ما نـزل مفرقـا علـى النـبي صـلى الله عليـه وسـلم، وأن أول ليلـة نـزل فيها القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كان في ليلة القدر، وهـذا قـول لـبعض أهـل العلـم، كالشعبي رحمه الله، وهـو أن معنى قول الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، أي إنا أنزلنا أول مقدار منه على رسول الله في ليلة القدر، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، هي ليلة القدر، وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، مقصود الآية: أنزل فيه أول مقدار على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر من شهر رمضان.

وأن جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء عندما كان يتعبد أو يتحنث فيه الليالي ذوات العدد، كان في ليلة القدر.

فهـذا الـذي يوحي بـه كـلام الشيخ، وقـد صرح بـه في مـواطن أخـرى رحمـة الله تعـالى عليـه، وهـو قـول لقلـة مـن العلمـاء مـنهم الشعبي رحمه الله.

القول الثاني: وعليه جماهير أهل العلم: أن المراد بهذه الآيات هو إنزال القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وأن قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي أنزلنا القرآن جملة واحدة، ليس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

لأن كلمة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ عائدة على القرآن كله، وليست على جزء منه، كذلك ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أي القرآن كله.

أين نزل؟

نزل إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ما دليل ذلك؟

قالوا: فيه دليلان:

الدليل الأول: روايات صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فيها إن المقصود في قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ هو إنزاله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وأن هذا هو المراد بإنزاله في هذه ؟؟؟

وهذه روايات صحيحة لابن عباس، وهذا الكلام ليس للرأي فيه مجال، يعني من أين لابن عباس بيت العزة، ومن أين لابن عباس أنه نزل جملة واحدة إلى مكان محدد في السماء الدنيا، فهذا الأمر لا يوصل إليه بالاجتهاد مما يدل على أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم.

وهو الموافق لظاهر الآيات، لأن الآيات تقول ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ يعني أنزل فيه القرآن كله، واضح المعنى..

أيضًا الدليل الثاني: أن بعض العلماء حكى الإجماع على هذا الأمر، وممن حكاه القرطبي رحمه الله، وصرح بقوله: لا خلاف في أن القرآن أنزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

هناك قول ثالث: وهو يجمع بين القولين، فيقول: أو أنزل القرآن ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وأول جملة من القرآن وهي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١، ٢]، أنزلت على رسول الله في تلك الليلة، فكان فيه جمع بين النزولين، النزول الجملي من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والنزول المفرق

وهو نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأول قطعة منه نزلت في تلك الليلة.

ولا مانع الحقيقة من هذا القول لأن الألفاظ القرآنية لا تنفيه وحديث ابن عباس أيضًا لا ينفيه، فابن عباس بين أن معنى الآيات هذه هو نزوله الجملي، لكنه لم ينفي النزول المفرق، أنا أقول هذا القول يجمع القولين، ويكون محتملا، لكن العلماء يقولون إن القرآن له نزولان بخلاف كتب السماوية الأخرى، فكل الكتب الأخرى لها نزول واحد، ومنها التوراة التي نزلت جملة واحدة، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾، قال الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي أنزلناه مفرقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وبهذا نعرف أن هذا القرآن قد نزل مرتين، المرة الأولى نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والنزول الثاني وهو المجمع عليه ولا خلاف فيه، أن القرآن نزل مفرقا على رسول الله على مدى ثلاثة وعشرين عاما.

فإن قلت لماذا نزل إلى بيت العزة في السماء الدنيا؟ ما الحكمة؟

ونحـن نعلـم قطعـا أن جبريـل لم يكـن يتلقـاه مـن النسـخة الموجودة في بيت العزة في السماء الدنيا، وإنما كان يتلقاه من الله مباشرة بدلالة الكتاب والسنة.

وهذا الذي لا نشك فيه، أن جبريل تلقاه من الله جل وعلا، ولم يتلقاه من الصحف، فما حكمة إنزاله إلى السماء الدنيا.

قلنا حكمة إنزاله: أولا إعلام أهل السماء بهذا الحدث الجليل العظيم وهو بداية نزول القرآن.

وثانيا: تشريف هذا النبي بإنزال كتابه إلى السماء الدنيا.

وثالثا: تشريف هذه الأمة، وأن كتابها نزل جملة واحدة، ونزل بعد ذلك مفرقا.

فهذه هي الحكمة من كونه نزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السـماء الـدنيا، ثم أنزلـه الله عـز وجـل بعـد ذلـك مفرقـا على حسب الحوادث والحكم الربانية.

قال بعد ذلك: وكان عمر النبي صلي الله عليه وسلم أول ما نزل عليه القرآن أربعين سنة على المشهور عند أهل العلم.

مما اشتهر عند أهل السير، وعند المفسرين وعامة العلماء، أن النبي صلى الله عليه وسلم نبئ عند الأربعين، ويدل لذلك قول

الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤]، قال العلماء: الاستواء هو بلوغ الأربعين، وأما بلوغ الأشد فهو دون ذلك، يبلغ الإنسان الأشد في ثلاثة وثلاثين، لكن يستوي ويكتمل إدراكه وعقله وحكمته ببلوغ الأربعين.

قال: وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وسعيد بن المسيِّب وغيرهم. وهذه السِّن هي التي يكون بها بلوغ الرشد وكمال العقل وتمام الإدراك.

فالنبوة مقام عظيم، ولا ينبأ أو ولا تكون إلا لمن اكتملت حاله، واكتمل إدراكه، وتم عقله، لأن حملها يحتاج إلى صبر، وعناء، ويحتاج إلى رشد تام، ولذلك ينزلها الله عز وجل على الرجال دون النساء، وعلى الإنس دون الجن، وعلى من بلغ الأربعين دون من لم يبلغ.

ثم قال الشيخ بعد ذلك:

طبعا نزل على النبي صلى الله عليه وسلم عند الأربعين، واستمر حتى توفي عليه الصلاة والسلام وعمرة ثلاثة وستون سنة، ولذلك عامة العلماء على أن مدة نزول القرآن كانت ثلاثة وعشرين سنة.

} قال رحمه الله:

والذي نزل القرآن من عند الله تعالى إلى النبي صلي الله عليه وسلم، جبريل أحد الملائكة المقربين الكرام، قال الله تعالى عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].{

من هو الذي نزل بالقرآن من الملائكة؟ أعظمهم وأجلهم وسيدهم وهو جبريل عليه السلام، قال: نزل به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل هو الذي ينزل بالوحي إلى الأنبياء قاطبة، ولذلك يسمى روحا لأنه يحمل الروح إلى الأرواح.

فأعظم ما في بدن الإنسان هي الروح، وجبريل ينزل بالروح الذي هو كلام الله عز وجل ووحيه لعباده، ولذلك هو يسمى روحا لأنه ينزل بالحياة إلى الأرواح.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾

وهذا الروح ينزل بالروح على هذه الأرواح وعلى هذه القلوب، كما قال الله عز وجل عن القرآن: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فجبريل روح والقرآن روح وينزل به

على القلوب والأرواح لأنها هي محل تلقي القرآن، ولذلك القرآن لا يتلقى بالآذان وإنما يتلقى بالقلوب، فهي محل نزول القرآن، ملك ينزل على ملك.

وبهذا نصل إلى نهاية المطاف في درسنا هذه الليلة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما فيه الخير، ونستكمل باقي الحديث في لقاء قادم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..